SIHR

المملكة العربية السعودية
أقلام حرة
في مواجهة الطائفية

تقرير من إعداد لجنة الدراسات والأبحاث في

المعهد الاسكندنافي لحقوق الانسان

نوفمبر/ كانون الأول 2014

المملكة العربية السعودية: أقلام حرة في مواجهة الطائفية

تقديم

بعد سنوات طوفان الخطاب المذهبي والطائفي الذي يفسر العالم من ثقب الفرقة الناجية والفرق الهالكة. الذي عم المشرق العربي وجعل من الكلمة رصاصة من رصاصات القتل اليومي. يستعيد عدد هام من الصحفيين والكتاب والأدباء المبادرة لإسماع صوت الحكمة في الرؤية والعقلانية في التحليل والمنهج العلمي في تناول الواقع ومشكلات الحياة.

لا شك بأن القرارات الحكومية الصارمة بشأن الحركات الدينية المتطرفة والإرهابية التي اتخذتها المملكة العربية السعودية قد أغلقت أبوابا عديدة من أبواب البروباغندا المذهبية المعششة في مجتمعاتنا ومؤسساتنا. والتي بلغت حدا يجعل من إثارة الكراهية عملا عاديا والترويج للعنف وسيلة من وسائل "النجومية" والعنترة والفحولة. ولا شك أيضا بأن البروباغندا المذهبية المضادة التي حملتها فضائيات التعبئة المذهبية كأهل البيت والفرات والفيحاء والأنوار الخ، قد أعطت لفضائيات مثل صفا ووصال دور "المدافع" ليس فقط عن أدلجة المعتقد بل توظيفه في الصراعات السياسية المباشرة بشكل غريزي.

لقد أصبحت المظلومية في الأعوام الخمسة الأخيرة أساس التعبئة لكراهية الآخر. هذه المظلومية المركبة على مقاس مشروع سياسي يعود بالجماعة المستهدفة إلى أكثر لحظات تاريخها ظلامية ويمنح أكثر المدارس الإيديولوجية سطحية وانغلاقا قوة الحضور في المشهد الاجتماعي والسياسي والفكري. وليس من أدنى شك بأن سقوط عدد من المثقفين العلمانيين في هذا المستنقع قد ترك آثارا كارثية على البلاد والعباد. حيث سقط أكثر من ناقد للإيديولوجيات الظلامية في معترك الدفاع عن "جبهة النصرة" وانحدر أكثر من كاتب في التغيير الديمقراطي لقاع التفسير المذهبي للواقع والتاريخ.

ولم يعدم الأمر دورا لحركة الإخوان المسلمين التي رفضت التصنيف الأمريكي لجبهة النصرة على قائمة الإرهاب وساهمت في توفير غطاء سياسي لمن يعلن عن نفسه جزءا وفرعا لتنظيم "القاعدة". وكيف يمكن أن ننسى جلسة الشيخ يوسف القرضاوي وإسلاميين سوريين تحت شعار "الدم السني واحد" في قناة صفا. والأمثلة أصبحت صعبة الحصر في التواطؤ الإعلامي والعسكري مع من يعتبر الصراع في المشرق العربي صراعا مذهبيا بامتياز.

عملية اغتيال الخطاب المدني، الذي أصله الدين الإسلامي الحنيف منذ الهجرة النبوية الشريفة إلى يثرب التي أصبحت "المدينة". كانت تجري على قدم وساق لتعيد المجتمع إلى عصبياته القديمة وتمنع أصوات التنوير والتغيير من أخذ مكانها في المشهد الإعلامي والثقافي.

يتابع المعهد الاسكندنافي لحقوق الإنسان بشكل يومي هذه التحولات في المملكة العربية السعودية. وهو يتقدم بالشكر إلى "المؤشر الإعلامي" الذي يقدم يوميا مختارات معبرة من الصحافة السعودية. كذلك للأقلام الحرة التي ترسل لنا مقالاتها وإسهاماتها في مواجهة التطرف والمذهبية والطائفية.

لقد رصد المعهد عشرات المقالات والدراسات في الأشهر الستة الأخيرة، وقبلها. ومن الملاحظ أن الكتابات الرافضة للمقاربات المتطرفة والمنغلقة والعنيفة تزداد بوتيرة قوية. بحيث لا تخلو الصحافة صباح كل يوم من قلم يتناول واحدة من مشكلات السقوط المذهبي ووسائل مواجهة التعصب والانغلاق على النفس والتراجع الثقافي والفكري.

ليست المعركة سهلة، ومن الملاحظ أن هناك هجوما مضادا مقنعا حينا وسافرا في أحيان أخرى. وقد شكلت إقالة وزير الثقافة والإعلام السعودي إثر تغريدته على التويتر بمنع قناة "وصال" المذهبية بأمر ملكي جاء فيه «يعفى وزير الثقافة والإعلام عبد العزيز بن محيي الدين خوجة من منصبه بناء على طلبه» إثر اجتماعه بولي العهد. ومن ثم ظهور مفتي المملكة على قناة وصال، إحدى معالم هذا الصراع بين حوانيت الماضي وأصوات تطمح لإنقاذ البلاد من التطرف والمذهبية والتشوه الإيديولوجي رافعة راية الحداثة والمواطنة. خاصة وأن وزير الثقافة والإعلام يحظى بشعبية كبيرة في أوساط الصحفيين والأدباء والليبراليين في المملكة.

يبقى لهذه الحركة شرف وضع الأصبع على الجرح وتلمس أعراض الداء وفتح آفاق البحث عن البلسم المنقذ للمجتمع من النزعات الغرائزية الموظفة في استراتيجيات سلطة ومشاريع تجعل من الموت قبلة شباب جرى اغتيال حلمه وطموحاته وقدرته على إبصار المستقبل في الحق في الحياة الأفضل.

يحاول هذا التقرير عرض عينة من هذه الأقلام الحرة. ولا شك بأنه لا يعطيها حقها تماما لأن مقالات هامة ومواقف متميزة كثيرة لم ترد فيه. إلا أن هدفنا هو توجيه الانتباه إلى هذه الظاهرة الهامة. لأنها تقع في صلب معركة مقاومة تدنيس الوعي التي تخوضها القوى الظلامية.

2014/11/8

لجنة الدراسات والبحوث

المثقفون الطائفيون.. «نجوم» في خدمة المذهبية السياسية المتقاتلة

ثقافة اليوم – علي سعيد

لا شيء يجلب الشهرة للمثقف هذه الأيام كالحديث باللغة الطائفية. أن يتحول من الانتماء للخطاب الثقافي بفروعه الجمالية والإنسانية، منتقلاً لخدمة مصالح الطائفة أو المذهب الذي نشأ فيه. وشتان بين الانتماء لخطاب فكري ثقافي إنساني، يجتهد ويثابر المثقف المخلص في إشاعته بكل الوسائل (كتابة وفناً وبحثاً..) وبين الانتماء لجماعة تمثل واحدة من البنى التقليدية في المجتمع العربي (الطائفة). ولأن اللغة هي المنتج الأكثر فرادة لدى المثقف، فإن المثقف الطائفي استغل كل فذلكته وألاعيبه اللغوية لدعم نجوميته الطائفية، عبر تغريدات وكتابات ملأت صفحات "الفيسبوك" و"تويتر"، لكن ما لم يكن متوقعاً، أن تتجمع وتتحول تلك الحالات والتغريدات إلى ظاهرة، تشكل طبقة من المثقفين الطائفيين، المذهبيين، الذين يعتاشون على نفث الكراهية وتعقيد الأزمات وجر الحشود إلى صراعات وحروب بأشد الوسائل فتكاً.

مع الثورات العربية، تكشف الوجه الحقيقي للمثقف الطائفي؛ من تحت قناع الدافع الأخلاقي المؤمن بضرورة أن يكون المثقف مع الشعوب المنكل بها، لكن ولأسباب عديدة، تحول مسار المثقف من الوطني إلى اقتصار هذا التضامن على الطائفة، في نكوص خطير شوه الفكرة الغرامشية للمثقف العضوي من الالتصاق ب "الشعب" والدفاع عنه إلى تمثيل محدود ل "الطائفة". فالمثقف الطائفي يحارب هذه الجهة (السياسية) فقط لأنه يعتقد أنها تقاتل المذهب الذي نشأ فيه وليس لأنها جهة مجرمة، لأن المثقف الطائفي لا يستطيع نقد الإجرام في كل الاتجاهات. هذه الملامح الأولى للمثقف الطائفي الذي أنتجته الثورات والانتفاضات والحروب التي اشتعلت من سورية إلى لبنان والعراق وتركت ظلالها على بعض مثقفي الخليج العربي. وهي نوعية من المثقفين تزعم الدفاع عن حقوق المذهب أو الطائفة بكل صراحة ووقاحة، ولا تتردد في التورط بالتجييش والتحريض الطائفي وتسمية الأشياء بأسمائها، دام هنالك جيش كامل من المزمرين المشجعين من ديماغوجية المذاهب. أما مسألة الوطن والمستقبل والعيش المشترك، فكلها عبارات إنشائية بلا قيمة بالنسبة للمثقف الطائفي المشغول بنفث أمراض كراهيته النتنة، فتراه ينتقد كل من نأى بنفسه عن الفتنة المذهبية ولم يتخذ موقفا مع هذه الجهة الجانية أو تلك، لتجده – المثقف الطائفي (المريض) – يبدأ بتأويل كلام كل من ينتقد هذه الجهة أو تلك. ينزع المثقف الطائفي إلى خدمة مصالح المذهب/ الطائفة، فهو الآن توقف عن الصحافة أو كتابة الشعر أو الرواية أو القصة أو السيناريو، وثمة جهة أو جهات إعلامية أو سياسية تمول ظهوره الإعلامية بعد أن أمنت له سبل العيش في داخل البلد أو في (الملجأ)، فتراه يستثمر كل مكاسبه الأدبية التي تعلمها من الخطاب والتجربة الثقافية، ليعيد إنتاجها سُماً نافثاً يصيب فقط الطبقة الأمية المُقَنَعَةِ، من أجل إشاعة الببرغاندا الطائفية.

المثقف الطائفي الذي يعد الإنتاج الأبرز والأبشع في آن، للثورات العربية، كان لظهوره وتشكله أسباب أشار إليها أستاذ علم الاجتماع في جامعة الكويت الدكتور علي أسعد وطفة في دراسة بعنوان: (فرسان الطائفية)، ومنها ما يذكره وطفة: " 1– أن هؤلاء المثقفين كانوا ضحية تربية طائفية مذهبية رعناء رسخت فيهم هذا الشعور المتعاظم بالحقد والكراهية

المذهبية. 2- ضعف الثقافة الفكرية وهشاشتها فهؤلاء غالبا لا يملكون أي ثقافة حقيقية تتصل بالإنسانيات بصورة عامة (تاريخ الفلسفة وجغرافية الأدب). 3- تعرض أغلب هؤلاء المثقفين لمعاناة اجتماعية تتمثل بالتهميش والظلم والدونية ولم تتوفر لهم فرص حقيقية في المشاركة الاجتماعية. ويمكن أن نضيف، أن المثقفين الطائفيين على الأغلب هم بلا مشاريع ثقافية سامية، تنحاز للإبداع الإنساني المتعالي عن الطوائف، كما أن الثقافة بالنسبة لهم لم تكن سوى بضاعة تكسب (كاتب سيناريو/صحافي/تشكيلي..) إلى آخر المهن والمواقع الثقافية التي شغلها المثقف قبل أن يكشف عن وجهه الطائفي.

لقد كشفت السنوات الأخيرة عن ظهور نوعين من المثقفين الطائفيين، الأول، هو من كان له حضور مهم داخل المشهد الثقافي ثم جاءت (الثورة)، فما كان منه إلا أن استثمر كل حضوره و"نجوميته" لخدمة مصالحه الشخصية أولا والتي وجدها على الأغلب في خدمة المذهبية والطائفية المسيسة. أما النوع الثاني من المثقفين الطائفيين الحديثين فهم غالبا ما كانوا مهمشين داخل الأوساط الثقافية وجاءت الحرب، لتوفر لهم سوقاً وبوقاً دعائيا، منحهم شهرة رخيصة تدفع من فاتورة دم الأبرياء.

من هنا نجد أنه، عندما يكتب مثقف عراقي أن الشيعة يتعرضون لإبادة ويوازيه مثقف سوري بأن السنة يتعرضون لإبادة، فتأكد أننا وصلنا إلى منحدر خطير في الوعي الثقافي، ذلك عندما يستعير الشاعر أو المثقف المحسوب على الخطاب الثقافي، لغة شيوخ الفتنة والتحريض المذهبي؛ الذين مهمتهم في الأساس التأجيج وحماية مصالح مذاهبهم وطوائفهم كي لا يخسروا مكاسبهم المادية وجيوش الأتباع المدججين بالجهل. الأمر الآخر يتعلق بالاصطفاف والاستقطاب السياسي الحاد، حيث يصعب على المثقف "المتورط" في الخطاب والصراع والتحريض الطائفي أن ينتقد بحيادية وتوازن لكل الجهات، فهو ملزم أمام الراعي الرسمي وجيش الاتباع أن يرى بعين واحدة، وأن ينتقد جهة معنية بنفسها، وإلا خسر طوابير "الفلورز" لأن الموقف الآن لا يحتمل التحول إلى المقلب الآخر، والمعركة في أوج أوارها. يجب التذكير دوماً، أنه إذا كان من مهمة للمثقف اليوم، فهو في التمسك بضرورة الدعوة لتحييد المذاهب والطوائف عن النزاع السياسي المدمر، عبر الوقوف ضد كل أشكال توظيف الدين رجالاً ودعاة في الأحداث السياسية بأن تتوقف الحكومات والأحزاب وقنوات وفضائيات المذاهب والطوائف المحرضة من خلط السياسي الحربي بالمذهبي. ولنا فيما حدث المثال الأوضح لوقوع الكارثة، عندما ترك المجال للدعاة ورجال المذهبية بأن يفسروا النزاع السياسي فقط وفق وعيهم الطائفي المحدود الذي لا يخرج من دائرة الجهل والكراهية والصراع المذهبي المتوارث منذ قرون.

صحيح أن المثقف كائن منتمٍ اجتماعيا لمحيط بالضرورة من هذا المذهب أو ذاك، فهو على الأغلب، لم يولد علمانياً ولا ليبرالياً كي يمارس كل هذه النظرة المتعالية على الطوائف والطائفية، ولكن بمقدوره أن يعي خطورة أن يكون مثقفاً ويتبنى خطاباً طائفياً لأن ما يقوم به نسف وتلويث لمجال إنساني كامل. وصحيح أن كثيرا من المثقفين فقدوا أهلهم وأحبتهم من تلك الحروب، لكن هل على المثقف أن ينظر لنفسه على أنه ممثل لجماعته في الصراع؟ أم مدافعاً عن القيم الإنسانية التي هي مشروع المثقف الأول؟ وأخيراً نستشهد بكلمات مؤثرة للدكتور سعد الدين كليب أستاذ الجمال والأدب في جامعة حلب وهي ذات الكلمات التي افتتح بها الدكتور وطفة دراسته القيمة، حيث يكتب الدكتور كليب: "كلما

لوثت فمك بالكلام الطائفي لوثت أيدي سواك بالدم. كلما طالبت بالثأر الطائفي جززت رقبة طفل أو بقرتَ بطن امرأة. قبل أن تدعو للثأر الطائفي تذكر أنك ارتجفت من مشهد المذبحة. ليختم الدكتور سعد الدين، بما يستحق أن يوجه أيضا للمثقف الطائفي: "ثمن الكلمة الطائفية قتل أخيك أو اغتصاب أختك الآن أو غداً. اختر مستقبل السلام لا مستقبل المذابح الوحشية."

عن صحيفة الرياض الخميس 11 شوال 1435 هـ – 7 أغسطس 2014م – العدد 16845

الطائفية.. فتنة كل العصور

فاضل العماني

ما يحدث الآن في العالم العربي من احتقانات وأزمات، تجتاح الشوارع والميادين العربية، بل والفكر والمزاج والسلوك العربي بمختلف ألوانه ومستوياته، تُنذر بتحول هذه المنطقة الملتهبة أصلاً إلى بؤرة صراعات وتوترات واحتقانات طائفية وفكرية قد تتسبب، لا قدّر الله، في المزيد من الانقسامات والتصدعات في النسيج العربي الذي حيكت خيوطه المتينة منذ مئات السنين بوشائج الدم واللغة والمعتقد والكثير من الاعراف والتقاليد والعادات المتوارثة عبر الاجيال العربية، تلك الاواصر الرائعة التي تُشبه الانسان العربي حد التطابق.

لقد مر العالم الإسلامي وخاصة مكوّنه العربي، في تاريخه الطويل والحافل بالكثير من الصراعات والضغوطات والتحديات، ولكن المرحلة الراهنة من مسيرة هذا العالم العربي المضطرب، تختلف كثيراً عن كل تلك المراحل السابقة، إذ تتعرض هذه المنطقة بأكملها إلى سلسلة ممنهجة من الاستهدافات والترصدات، سواء الداخلية أو الخارجية، تُحاول المساس بأمن وسلامة واستقرار ونماء هذه المنطقة المستهدفة، قديماً وحديثاً.

أدركت المجتمعات المتحضرة، قديماً وحديثاً، خطورة هذا الداء العضال – الطائفية – الذي يفتك بجسد الأمم والمجتمعات، وأيقنت أنها لن تعيش في سلام وتتمتع بتنمية شاملة، إلا إذا ازالت كل اشكال الطائفية البغيضة

كثيرة هي الاستهدافات والترصدات، ولكن أخطرها على الإطلاق هي الطائفية البغيضة التي بدأت تتمظهر في الكثير من التفاصيل والمجالات. الطائفية، هي الخطر الداهم الذي يُراد من خلالها تفتيت وحدة المنطقة، وزرع الفتنة بين مكوناتها المختلفة التي تعايشت كل تلك القرون الطويلة بحب ووئام وتآلف. وأكثر ما يُميز هذه المرحلة المضطربة، هو اعتلال واختلاط المفاهيم والتعريفات والرؤى، بحيث امتزجت المطالب الشعبية المحقّة مع دعوات التخريب والفتنة المذهبية، وتماهت حركات التحرر والتطلع مع شعارات وعناوين التغريب والانحلال.

باختصار شديد، لم تعد هناك حدود واضحة لسقف المطالبات، حيث اختلطت مفردات الاصلاح والبناء التي تُنادي بحياة كريمة وتعليم جيد وعمل مناسب، مع صيحات كريهة تُشرّع العنف والقتل والازدراء. لقد اختلط الحابل بالنابل كما يُقال، ولم يعد بالإمكان فرز التطلعات الحقيقية التي تنشدها الشعوب الحديثة، مع تلك الاجندات والأهداف المذهبية والطائفية والعنصرية التي يُتاجر بها البعض.

لقد فقدت بعض التيارات المتشددة، هنا وهناك، بوصلتها الفكرية والعقدية والإنسانية، بحيث غلّبت المصلحة الفئوية الضيقة على حساب مجتمعاتها وأوطانها. انحرفت تلك الوسطية التي كنا نُباهي بها، تلك الوسطية التي شدد عليها ديننا الحنيف، والتي تهدف إلى إشاعة التسامح والعدل والرحمة والانفتاح.

لقد غابت، أو غُيبت كل تلك القيم والمبادئ الاسلامية الأصيلة، لتحل محلها، ثقافة العنف والقتل والتكفير، ولغة الكره والتعصب والطائفية.

ولكن، كيف وصلنا إلى هذا الوضع المزري، وإلى هذه الحالة المتردية؟ ومن هو المسؤول عن تفشي هذه الآفة الفتاكة – الطائفية – التي تُهدد مجتمعاتنا العربية والإسلامية؟ وكيف نواجه هذه الظاهرة الخطيرة التي تمددت إلى كل تفاصيل حياتنا؟

أسئلة كثيرة حول مسألة الطائفية، تحتاج إلى إجابات شافية، لا إلى التفافات وتطمينات لا فائدة منها.

الحوار، الإعلام، المناهج، العقاب.. هي أهم المحاور الرئيسية التي نحتاج الوقوف عندها للقضاء، أو التقليل من حدة هذه الظاهرة البغيضة التي تُنذر بخطر يتهددنا جميعاً.

الحوار، هو الاسلوب الامثل لمواجهة هذه الظاهرة، لان الحوار كثقافة ضرورية وقيمة حضارية بحاجة إلى أن يتجذر في فكرنا وسلوكنا، وذلك للخروج من نفق الطائفية المظلم. نحن نحتاج للكثير من المراكز والمؤسسات، الرسمية والخاصة، لإشاعة ثقافة الحوار بين مختلف مكونات وشرائح المجتمع، كما نحتاج إلى رموز وشخصيات وطنية تُدرك خطورة الطائفية، لا أن تميل لأهوائها وغرائزها الضيقة.

المناهج، خاصة في المراحل التعليمية المبكرة، بحاجة لان تغربل وتنقى من كل شوائب الاختلاف والصراع والفتنة والاتهام. يجب التركيز على المشتركات، وهي الأكثر، والابتعاد عن الخلافات والتفردات. مناهجنا، يجب أن تُؤصل ثقافات وسلوكيات الاعتدال والتسامح والانفتاح والتآخي والقبول بين كل المكونات والفئات، وأن تدعو إلى الانصهار والاندماج والانسجام في حضن الوطن، وأن تُكرس مبادئ التنوع والتعدد، باعتبارها مصدراً للتميز، وليس مدعاة للتمييز.

أما الإعلام، لاسيما الجديد منه، والذي يُهيمن تقريباً على كل مصادر الحياة، من علم ومعرفة وترفيه واقتصاد وثقافة، فإنه بكل وسائله ووسائطه وتقنياته الهائلة، أصبح منبراً كبيراً لإنتاج وتسويق الطائفية البغيضة، حيث أتاح لخفافيش الظلام ودعاة الفتنة المذهبية ومشايخ الفرز الطائفي، المشاركة في منافسات التجييش المذهبي والتعبئة الطائفية. الإعلام، بما يحمله من رسالة هادفة ومسؤولية كبرى، لابد أن ينحاز لمصادر التقريب والتسامح والانفتاح والحرية، وكذلك عليه أن يُمارس دوره الفاعل في صياغة وتشكيل وتوجيه الوعي المجتمعي باتجاه الوحدة الوطنية بين كل مكونات الوطن.

الإعلام المسئول، هو من ينشر مبادئ الحق والعدل والمساواة والحرية والتسامح، لا أن يبث سموم الطائفية ويُروج لها.

العقاب، هو المحور الرابع الذي لابد من إقراره وتفعيله، لأنه يضمن سلامة وأمن واستقرار المجتمعات.

وفي مثل هذه الظروف الاستثنائية التي تمر بها المجتمعات العربية، نتيجة تفشي هذه الظاهرة الخطيرة، تقتضي الحاجة تشريع وسن بعض القوانين والتنظيمات والآليات التي تُجرم كل أشكال ومستويات الطائفية اللعينة، وضد كل من يرفع شعارات أو عناوين طائفية ضد أي فرد أو مكون أو طائفة. كل من يمتهن الطائفية، قولاً أو فعلاً، ومهما كان حجمه أو موقعه، لابد أن يكون تحت طائلة القانون والعقوبة والتجريم.

كثيرة، هي التحديات التي تواجه العالم العربي، ولكن الفتنة الطائفية، تأتي في مقدمة كل تلك التحديات، لخطورتها الكبيرة كآفة تنخر في بنية المجتمعات العربية.

لقد أدركت المجتمعات المتحضرة، قديماً وحديثاً، خطورة هذا الداء العضال – الطائفية – الذي يفتك بجسد الأمم والمجتمعات، وأيقنت أنها لن تعيش في سلام وتتمتع بتنمية شاملة، إلا إذا ازالت كل اشكال الطائفية البغيضة، ووظفت كل مصادر التنوع والتعدد التي تتمتع بها لبناء مجتمعات قوية وصحية ومنتجة..

صحيفة الرياض، الاحد30 رجب 1434 هـ – 9 يونيو 2013م – العدد 16421

قل لي كم مرة (تعرعرت) .. أقل لك : (من أنت) ..؟؟!!

حماد السالمي

* ظاهرة الشيخ السوري (عدنان العرعور)؛ التي أصبحت في الأيام الأخيرة حديث المجالس ووسائل الإعلام؛ تستوجب التوقف عندها لدراسة نتائجها ومآلاتها، ومن ثمّ الرجوع إلى أسبابها، من أجل أخذ العبرة منها، وفهم الدرس جيداً.

* أقول هذا الكلام؛ لمن هم في هرم المسئولية السياسية والأمنية والاجتماعية، ولكافة المؤسسات الرسمية والأهلية والمواطنين السعوديين، الذين يملؤهم الإيمان بحمد الله، ويتعاطفون مع مآسي إخوانهم العرب والمسلمين في كل مكان، ولكن تخونهم عواطفهم هذه، وتجرفهم مشاعرهم الجياشة، حتى تطيش منهم سهامهم الخيرية، فهي ربما تضل طريقها، وتذهب إلى أعدائهم بدل أصدقائهم، فترتد عليهم وعلى بلادهم بخسائر دينية وسياسية واجتماعية فادحة، وهذا الأمر ليس غريباً ولا جديداً علينا، ولكنه قديم منذ (زفة الجهاد الأفغاني)، الذي تحول من جهاد في سبيل الله، إلى جهاد ضدنا، وتحول علينا وعلى بلادنا بالتنكير والتكفيروالتفجير، واستهداف أمن الوطن وقيادته واستقراره.

* الشيخ العرعور؛ جاء إلى هذه البلاد الآمنة، طالباً أمنها وحمايتها، وكان ينبغي له أن يحترم أصول الضيافة في البلد المضيف مثل آلاف الضيوف السوريين، وفيهم علماء وأعلام وقادة وزعماء، فهو منذ البدء؛ راح يتصرف كزعيم وبطل ومنقذ من خارج حدود سورية، بل زاد واستغل ثقة العلماء والمؤسسات الخيرية ووسائل الإعلام، وراح يعزف على وتر الخلاف المذهبي بين السنة والشيعة، وظهر مرات عدة على قنوات فضائية؛ وهو يردح ضد شيعة المملكة من قنوات في المملكة في مزايدة رخيصة، وفي وقتها حذّرت منه ومن هذا الخطاب الانتهازي الرخيص الذي هدفه استعطاف السعوديين ودغدغة مشاعرهم لا أكثر، فما لبث أن أخذ يجوس في بعض مناطق المملكة، فتقام له الولائم، وتنظم له العزائم، ويهز المنابر بالخطب الرنانة، وفي الطائف حدث مثل هذا في عدة أمكنة؛ دون أن يقول له أحد قف، وقد قدم نفسه على أنه وسيط خير لجمع التبرعات للجرحى والمنكوبين في سورية، ووضع رقم حسابه البنكي في تغريداته على التويتر، وظل يسرح ويمرح دون رقيب أو حسيب، إلى أن جاءت الأخبار بتصريح على لسان المنشق عن جبهة النصرة (سلطان العطوي) مفاده: إن زعيم جبهة النصرة (أبو محمد الجولاني)، تلقى تمويلاً من العرعور مقداره مليون دولار..!

* مليون دولار..! من فرد ضيف على البلاد؛ يعرف أن جبهة النصرة هي جماعة إرهابية ترتبط بالقاعدة الإرهابية، وأن المملكة أعلنت مرات عدة، أن جبهة النصرة جماعة إرهابية مثلها مثل القاعدة وداعش.

* لماذا لم يأخذ الضيف العرعور بأصول الضيافة، ويلتزم بأنظمة البلد الذي هو فيه، وقد ظل ليل نهار يلعب بعواطف السعوديين، ويستثمر مشاعرهم الدينية؛ لحلب المزيد من الأموال التي تصب في حساباته بصورة غير شرعية ولا مشروعة..؟ هل يملك حصانة من أحد..؟ أم هو استثناء في المشهد الذي يستغل الفتن والمحن؛ ليتكسب منها، ويثري على طريقة: (مصائب قوم عند قوم فوائد)..! فمصائب السوريين عنده وعند أمثاله؛ وجاهات وهدايا وعطايا، وأموال كثيرة في حسابات خاصة، وليست الحسابات الرسمية التي خصصتها وتشرف عليها الدولة لجمع التبرعات.

* القضية ليست في (عدنان العرعور) ولا في ظاهرته هذه، ولكن من حقنا أن نسأل أنفسنا: كم عرعوراً من أمثاله؛ يعيش بيننا، ويمارس علينا الدجل والخداع باسم الدين، ويحلب ما طاب له من أموالنا لخاصة وللجماعات المتطرفة والإرهابية التي ينتمي إليها..؟!

* كم عرعوراً يتظاهر بالتقوى والصلاح، فيخادع الناس بمظهره، ويثق الطيبون في كلامه، ويصدقون خطابه، ويظنون أن ما يأخذ من أموال خيرية؛ هي في سبيل الله، لتشبع الجوعى، وتكسي العراة، وتداوي المرضى، وتضمد جراح المنكوبين في بلدانهم، بينما هو في حقيقته؛ مشروع إرهابي في ثوب إصلاحي، يستلب خيريات المجتمع، ليجند بها أبناء الآخرين، لكي يَقتلوا ويُقتلوا في معارك عبثية، ويشتري بها السلاح الذي به يذبحون خلق الله في كل مكان، ثم لا يتورع أن يصلي مع الناس– أو يصلي بهم– ويخطب فيهم، فيبكي ويستبكيهم، إلى أن تتقطع حناجرهم من النحيب..!

* من المؤكد أن الشيخ العرعور؛ سوف يضعني في خانة (الرويبضة اللادينيين) من الكتاب والإعلاميين السعوديين؛ الذين إذا انتقدوا تصرفاته الطائشة في وطنهم وفي مجتمعهم؛ أصبحوا رويبضات لا دين لهم، كما درج على هذا القول على الملأ..! وعسى أن لا يدندن بهذه الاسطوانة المشروخة؛ أحد من أحباره وأتباعه.

* أيها الطيبون في وطني الحبيب: كم مرة (تعرعرتم) من الشيخ العرعور وممن هم على شاكلته، فذهبت تبرعاتكم وخيرياتكم إلى غير وجهتها الصحيحة..؟! إذا عرفتم ذلك؛ عرفتم من أنتم.

صحيفة الجزيرة

02/11/2014

السعوديون حطب داعش

عروبة المنيف

لم يفاجئنا الخبر الذي مفاده بأن السعوديين هم حطب داعش، فلقد كانوا في السابق حطباً للقاعدة وطالبان. لقد نشرت مواقع التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام الأخرى إحصائيات تفيد بأن غالبية من يقومون بالعمليات الانتحارية الداعشية سواء في سورية أو العراق هم من السعوديين، ولقد نشر قبل ذلك أيضاً خبر آخر مفاده أن النسبة الأكبر من المنتمين إلى داعش هم من السعوديين والتونسيين.

إن تخصيص السعوديين للعمليات الانتحارية وجعلهم وقودا لعمليات داعش الإرهابية، مقارنة بغيرهم من الدواعش هو الطامة الكبرى. ويزداد الوضع سوءاً عندما نعلم أن قيادة مجلس شورى داعش يهيمن عليه العراقيون من منتسبي حزب البعث والضباط السابقين وتكاد تخلو قائمة الانتحاريين من العراقيين، حيث يسيطر التونسيون على الشؤون الأمنية والشرعية، بينما يعتبر السعوديون من أضعف الرتب فهم مخصصون للعمليات الانتحارية فقط.

لقد ظهر خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله – حفظه الله – بعد عيد الفطر مخاطباً ومنتقداً المؤسسة الدينية الرسمية، متهماً المشايخ والعلماء بالكسل نتيجة تقاعسهم عن القيام بالأدوار المطلوبة منهم في التوعية والتبصير بخطر تلك الجماعات الإرهابية، وذلك من أجل تفادي مخططاتهم التي وقعت بالفعل فقد (وقع الفأس بالرأس).

لقد وضع اللوم عليهم في عدم تنبيه وتبصير الشباب وتحذيرهم من عبثية هذه الحروب. إن الجميع متيقن من أن بعض المشايخ يؤمنون بالفكر الجهادي التكفيري، وهم من غرر بالشباب ودفعهم للذهاب ولقاء حتفهم من خلال الفتاوى المشبوهة. إن القصص لا تعد ولا تحصى منذ حرب أفغانستان مروراً بحرب العراقيين ضد الأمريكان وحرب السوريين ضد الأسد. لقد تم إغراء الشباب بأهمية الجهاد والشهادة في سبيل الله، ومن ثم الفوز بالجنة الموعودة ولقاء الحور العين!!!.

إن القضية ليست بهذه البساطة ويجب أن لا تمر مرور الكرام، يجب أن نبحث بتبصر من أجل معرفة أسباب اندفاع شبابنا لمثل هذه الحروب العبثية، حيث تمجيد القتل والذبح والتدمير باسم الدين، والتضحية بالأرواح والأنفس. نتساءل: من أجل ماذا ؟ ودفاعاً عن أي قضية ؟ لماذا يريدون الموت ؟ لماذا يكرهون الحياة ؟ لماذا حياتهم بلا معنى؟

تحضرني رواية تاريخية عظيمة باسم (الموت) للمؤلف السلوفاكي فلاديمير بارتول التي ترجمت للعربية في عام 2001 «السنة التي حدثت بها غزوة نيويورك من قبل القاعدة». لقد كتبت الرواية في عام 1937، أي قبل أكثر من سبعة عقود، إبّان صعود نجم قيادات دكتاتورية كانت تهدف لتغيير العالم وفق منطقها وتصورها على حساب تدمير وإعدام وسحق الشعب، أمثال هتلر وستالين وموسوليني.

تحاكي الرواية واقع الانتحاريين الآن، تدور أحداث الرواية في قلعة الموت التي استولى عليها الحسن بن الصباح «فارسي الأصل»، مؤسس الطائفة الإسماعيلية، التي هي فرع من فروع الشيعة، لقد جعل جزءاً من هذه القلعة للفردوس الأرضي الذي ابتدعه مع حور عين أرضيات. الموت هي حصن جبلي جنوب بحر قزوين تبعد 100 كيلو عن طهران. وبحسب الرواية فقد أسس الصباح أول جماعة تدعي انتسابها للإسلام وتاريخها مليء بالقتلى والاغتيالات والدماء. لقد أطلق على

تلك الجماعة اسم «جماعة الحشاشين»، فقد استخدم الحشيش لتخدير عقول الشباب ولتنفيذ مخططات الصباح الإجرامية ضد كبار الشخصيات في الإمبراطورية العباسية. لقد تمكنت «جماعة الحشاشين» من إقامة دول في إيران والشام بين عامي 1090- 1257 ميلادي.

اختار الحسن بن الصباح صغار السن من الأطفال حتى يستطيع السيطرة على عقولهم منذ الصغر. لقد قام بتدريبهم تدريباً عسكرياً شاقاً ليقوموا بالعمليات الانتحارية والاغتيالات، يرافقه عمل منظم لغسل الأدمغة. لقد كان يراعي في هؤلاء الفتيان ألا يكونوا قد ذاقوا الخمر والنساء أو أي نوع من ملذات الحياة، فقد غرس في نفوسهم انه يملك مفتاح الفردوس يفتحها لمن يشاء، فكان يذيقهم طعم الجنة في الجزء الآخر من القلعة التي صممها كما وصفت في القرآن. اختار الصباح لجنّته الأرضية أجمل النساء وأرقهن «الحور العين»، ووفر فيها ما لذ وطاب من الأكل والشرب ورفاهية لا تخطر على البال. إن من يجرب تلك الجنة المزعومة ويعود للأرض وعيشتها القاسية سيسترخص حياته عند أول فرصة مواتية، فينجز العملية الانتحارية بكل عزم وقوة وإصرار.

حسب الرواية، هؤلاء الشباب المغرر بهم يكونون قد جربوا الجنة الموعودة « وهم مغيبون بمادة الحشيش المخدرة فيؤخذون للفردوس ليلاً ويتم إرجاعهم لثكناتهم قبل أن يعودوا لوعيهم». إن الاختلاف بين «جماعة الداعشيين» و»جماعة الحشاشين»، أن الداعشيين لم يجربوا الجنة كالحشاشين، ولكن يتشابهون في السيناريوهات الأخرى من غسلٍ للأدمغة الذي يتم فيها التحريض على الاخر وبغضه، وعلى تقديس الجماعة والطائفة التي ينتمي إليها، إضافة إلى انعدام وسائل الترفيه وتجفيف منابعها!.

لقد غسلت أدمغة الداعشيين السعوديين منذ نعومة أظفارهم بدءاً من البيت والمدرسة وانتهاءً بالمسجد والنوادي الصيفية، فالتحريض على الآخر بلغ أشده خصوصاً في أزمان الحروب وتمويلها بالرجال والعتاد.

في قراءة متمعنة لخطابي الملك وقبله وزير التعليم الذي تم فيهما وضع أصابع الاتهام على بعض رجال الدين بأنهم مسؤولون عن التغرير بأبنائنا من خلال المناهج وأساليب التعليم والحلقات الدعوية والمساجد وغيرها من وسائل متاحة وميسرة وتحت تصرفهم. نستيقن بأننا قد وضعنا يدنا على الجرح وتم استيعاب حجم الخلل القائم من خطاب تكفيري جهادي إلى الترويج لثقافة الموت التي يتبناها بعض المشايخ والدعاة. لقد حان وقت استدراك الخطأ حفاظا على سلامة الأجيال القادمة وحقناً لدماء أبناء الوطن. ينبغي لنا هنا أن نتساءل هل يحق لهؤلاء الدعاة والمشايخ أن يكونوا أوصياء على أبنائنا يتصرفون بهم ويخدعوهم ويضلونهم ويدفعون بهم إلى هذا الموت العبثي كما يشاؤون ؟ ؟ من أجل ماذا ؟ من أجل أجندة وضعوها وغفلت الدولة عن مخططاتهم وأهدافهم، لقد جعلوا القيم والمبادئ الدينية قناعاً يتلثمون به من أجل تحقيق غايات ومآرب شخصية، فاستطاعوا بذلك أن يستدرجوا ويستقطبوا الشباب إلى هذا المستنقع الداعشي، بينما العلماء الحقيقيون وأصحاب الفضيلة يلتزمون الصمت!.

لقد نشرت منذ أيام صحيفة النيويورك تايمز خبراً يفيد بأن شابين ألمانيين قتلا في سورية بعد قيامهما بتلبية الدعوة إلى الجهاد وتجنيدهما من قبل متشددين. لقد أعلن المجتمع الألماني بعد ذلك الخبر حالة الاستنفار بسبب الإحساس بأن حالة القتل ستنتقل إلى بلادهم في النهاية. إن الأنظار تحولت مباشرة إلى التعليم وطرق التنشئة بشكل أكثر تركيزاً عما كان عليه في السابق، وذلك من أجل احتواء المسلمين والعمل على اندماجهم في المجتمع الألماني بشكل أفضل. لقد تم السماح للمدارس الحكومية بتدريس الدين الإسلامي لطلاب المدارس الابتدائية وتم تدريب المعلمين والإشراف عليهم من قبل الدولة

بطريقة مهنية. لقد فرض على كل معلم أن يحضر ما لا يقل عن 240 ساعة من التدريب في الجامعة لاجتياز القبول، وذلك من أجل تدريس مادة الدين الإسلامي بهدف مساواة التلاميذ المسلمين مع التلاميذ الذين يدرسون الأديان الأخرى. كل ذلك التحضير من أجل ضمان نوعية المادة الدينية المعطاة للطلاب بما يضمن خلو الجيل من بوادر التطرف والتشدد الديني.

إن هذا الوقت في هذه المرحلة الخطيرة والحرجة التي تمر بها الأمة الإسلامية من تطرف ديني صارخ يعتبر من أنسب الأوقات للتدخل من قبل الدولة ومكافحة التطرف والفكر الجهادي التكفيري، ونشر ثقافة التسامح وقبول الآخر بكل السبل، فالأدوات ما زالت بأيديها. لقد حان الوقت للضرب بشدة لكل من يحاول العبث بثروات هذا الوطن. إن أبناء هذا الوطن هم ثروته التي لا يستوي بدونها، فلنعمل على تغذية شرايين أبنائنا بماء الحياة ليتدفق بغزارة في دمائهم فيقبلوا على الحياة والأمل ويعمروا الأرض، لتشع نوراً وازدهاراً ورخاء. فالحياة حلوة لكن للي يفهمها.

صحيفة الجزيرة 15349 Issue 07/10/2014 الثلاثاء 13 ذو الحجة 1435

رياح التغيير لمواجهة الدعشنة..

د.هيا عبد العزيز المنيع

الفكر حالة خاصة هو الصديق الذي لا يخون ان احسنت بناءه، بل هو قوة تستطيع الاستناد عليها في كل المواقف، وهو العدو الذي لا يمكن قتله برصاصة ليموت وينتهي تاثيره ويتم القضاء عليه قبل ان يلتهم عقول ابنائك بفيروساته المتلونة.. هو عدو لئيم يخونك ان استأمنته بجهل ودون وعي، وهو عدو لئيم يسرق ابناءك منك ان غفوت عنهم..

الفكر عدو لدود وغير نبيل .. فساد الفكر يمثل حالة تسوس تنخر جسد المجتمع وتحوله الى حالة عالية من الفساد والمرض وسهولة العدوى من اي فيروس قادم مهما بلغ ضعفه..

التطرف والتشدد الفكري الذي بات يعصف بالمجتمعات العربية ويتمدد داخلها لابد من مواجهته فكريا وعدم الاكتفاء بضربه عسكريا..

مجتمعنا السعودي مثله مثل كثير من المجتمعات العربية والاسلامية يعاني من حالة التطرف الفكري وتكريس ثقافة التطرف وخاصة من بعض الغلاة ممن يدعون الدين والتدين.. فيما هم جزء من مشروع حركي سياسي وجدوا افضل طريق للوصول له زراعة التطرف والفتنة داخل مجتمعنا وخاصة بين الشباب من الجنسين وان كان الذكور اكثر والذي بات يشكل حطب نار للكثير من الحروب ومواقع القلاقل العسكرية، حيث بات للاسف بعض مدعي العلم الشرعي يزرعون ثقافة التطرف في وجدان ابنائنا مستغلين البيئة المتدينة اساسا في مجتمعنا من ناحية، وغفلة الاسرة وكثير من المؤسسات الحكومية المسؤولة عن الشباب وضعف ادائها لتلك المهمات من ناحية اخرى ما جعل من بعض الخفافيش تجد فرصة مواتية لنشر ثقافتها المتطرفة المتشددة والتي ادت الى سهولة انجرافهم مع هذا التيار وخاصة ان هناك تعزيزا غير مقصود لتيارهم في الكثير من مؤسساتنا وخاصة التعليمية بشقيها العام والعالي، حيث المدرسة تركز على انشطة معينة تكرس الانتماء الاممي وتتحاشى الانتماء الوطني .. بل واحيانا تتجاوز التحاشي الى حيث تحريم انشاد تحية العلم اي السلام الملكي والاكتفاء باناشيد تكرس ثقافة الجهاد وعداء الاخر وخاصة وفق المرتكز الديني والطائفي، اما الجامعات فقد تفوقت في تكريس ثقافة التشدد حيث استغل بعض الاساتذة منابرهم التعليمية لزرع ثقافة التطرف في طلبتهم ما جعل بعض هؤلاء الطلبة يتسربون من جامعاتنا الى حيث تجمعات المجاهدين بدءا بالقاعدة وانتهاء بداعش..

داخليا علينا مواجهة انفسنا ليس لصالحنا ان نتهرب من مواجهة الحقيقة خلقنا مساحة كبيرة داخل مجتمعنا حيث الاكثار من المنع والتحريم.. بالغنا في الاتكاء على باب سد الذرائع الى ان اصبح هو القاعدة.. ليس لصالحنا اتهام الغرب او الشرق بتطرف ابنائنا لان داخلنا الداء ولدينا الدواء وليس لدى غيرنا..

والنتيجة ان شبابنا بات صيدا سهلا للانقياد حيث حدية الموقف.. إما تطرفا وتشددا او إلحادا، نعم ليسوا الاغلبية ولله الحمد ولكن المتعاطفين معهم للاسف يمثلون اكثرية.. ما يعني معه ضرورة قص جذور ومعززات الفكر الداعشي حيث كان وحيث كانت مسبباته..

نريد مدرسة تتبنى عقولا مفكرة، عقولا تستطيع ان تقول رأيها بفكر معاصر دون محاصرتها بتراث فقهي لا يتفق في كثير منه مع سياق معطيات عصرنا، نريد عقولا تستطيع ان تستقرئ القرآن الكريم وتستنبط الاحكام.. عقولا رجالية ونسائية تمارس حقها في التفكير قبولا او رفضا لا يكون الانقياد سبيلها الوحيد.. لغير الله...

مواجهة التطرف عسكريا مهمة وإن كانت مؤقتة ولكن مواجهته فكريا عمل دائم ومتنوع ولا يقف على المنابر بل ويكتمل بإشباع الاحتياجات من تعليم وصحة ونقل وعدالة اجتماعية وحرية الافراد..

*صحيفة الرياض، الثلاثاء 20 ذي الحجة 1435 هـ -14 اكتوبر 2014م - العدد 16913 , صفحة رقم(**29**)

الطائفية السياسية تشعل أزمة الدين المنقسم

د.علي الخشيبان

الطائفية المذهبية تشتعل في سورية ولبنان والخليج وفي مصر بل في كل أنحاء العالم العربي، ولن تتوقف ومن يعتقد أنها سوف تتوقف يخطئ لأنها دورات تاريخية لم يسمح لها المسلمون بالإغلاق بل كانوا يفسحون لها المجال لتكبر وتزداد

عبر تاريخ طويل من الصراع في وسط الدين الواحد تشكلت الكثير من المجتمعات الإسلامية وفق مذهبيات ونمطيات متفاوتة لفهم الدين، واستمر التاريخ السياسي للدين الواحد مصدرا وملهما لكل الصراعات وخصوصا الطائفية التي شهدها التاريخ الإسلامي.

لقد استطاع المسلمون عبر تاريخهم الطويل إذابة كل الصراعات العرقية في وسط دائرة الإسلام الذي قام في صلبه التشريعي على عدم التفريق بين معتنقي الإسلام من حيث مرجعيتهم فدخل في الإسلام الكثير من الأعراق ومن كل أنحاء العالم وألوانهم المختلفة والتي استطاعت أن تذوب في الإسلام دون إحساس بالعنصرية ضد عرق بعينه.

لم يكن الاختلاف على شكل الدين الاجتماعي كونه ظاهرة عقدية تطلب من الجميع أن يتجه إلى مرجعية واحدة تتمثل في العبادة بل كان الاختلاف على شكل الدين السياسي الذي غيّر مسار أمة بكاملها، فالحقيقة المؤلمة أن البحث التاريخي لازال قاصرا عن تفسير متى وأين ولماذا..؟ كان المنعطف الذي ذهب بمعتنقي الدين الواحد إلى الانقسام الأخطر في تاريخ المسلمين والذي أوجد الطائفية التي تمثلت في السنة والشيعة.

وعبر تاريخ هذا الانقسام المذهبي حصلت انقسامات داخل كل مذهب وتشكلت فرق وجماعات كثيرة وأصبحت هناك علاقة طردية بين ظهور جماعة جديدة في كل مذهب، وبين قوة التشدد والتطرف ضد الجماعة الأخرى ووصل الأمر أن كل مذهب وصل إلى أعلى قمة العداء مع المذهب الآخر حتى وصل الجميع إلى فكرة تكفير الآخرين.

لماذا وكيف انقسم الدين الواحد منذ اللحظات الأولى لرحيل النبي محمد عليه السلام..؟

هذا السؤال ظل مقلقاً بل إن النتائج التاريخية التي عاشها أتباع الإسلام كلها تصب في الآثار السلبية لتلك الفرقة التي تأرجحت بين أسباب اجتماعية وأسباب سياسية..

اليوم وبعد أكثر من أربعة عشر قرنا من ظهور هذين المذهبين في الإسلام لازال علماء وباحثون من كلا الطرفين يناقشون أحقية كل مذهب بالوجود بعد أن بلغ عمرهما في الإسلام ألفاً وأربع مئة سنة تقريبا وهذا ما يدعو إلى القلق بل ويؤذن باستحالة الحلول الفكرية وخاصة أن الحقيقة أصبحت مملوكة لكل طرف وفقا لأدلته وبراهينه وادعائه.

في كل محطة فكرية من تاريخ المسلمين تبرز الفرقة المذهبية وهذا ما يفسر تلك الكتابات والبحوث والدراسات التي أنتجت من كل طرف ضد الطرف الآخر.. وهذا الصراع الدائم لم يكن يرتكز على مسارح الحوار الفكري بين العلماء من كل طرف بل إن إنتاج هذين المذهبين الفكري ظل منفردا عن الآخر يقول فيه ما يريد ويحدد مكانته من الدين كما يريد.

لقد ظلت المذهبية السنية أو الشيعية تستند إلى السياسة وحدها وسلطتها لفرض مذهب بعينه حتى أصبحت الظاهرة السياسية في التاريخ الإسلامي على مر العصور تقوم على الاستناد ليس إلى الدين الواحد فقط بل الاستناد إلى المذهب الواحد فقط.

ولعل هذا ما يفسر تتابع قيام الدول الإسلامية وظهورها استنادا إلى المذهبية فقليل ما نجد ذلك الاعتراف السياسي بتعدد مذهبي مع انه يوجد بعض الأمثلة غير الواسعة عن فكرة التعايش الاجتماعي بين المذاهب.

التحولات التاريخية التي أصابت العالم وخاصة بين القرنين التاسع عشر والعشرين وظهور المنهجيات السياسية الحديثة ودخول العالم في حروب مدمرة أنتجت الأشكال السياسية التي نراها اليوم وهي ما يعبر عنه بالغرب بالديمقراطيات الاقتصادية..

بعد هذه التحولات لم تستطع الدول الإسلامية وخاصة دول الشرق الأوسط وبعد سقوط الدولة العثمانية أن تتجاوز التاريخ وتعيد إنتاج الفكر السياسي وفق النمط الحديث الذي اجتاح العالم.

إن فقر الشعوب الإسلامية فكريا وترسيخ النمط التاريخي كخط مرجعي هو السبب الدائم في لجوئها إلى صراعاتها التاريخية لإعادة تشكيل نفسها من جديد، ولكن بذات الأدوات والأفكار وهذا ما سمح للصراع المذهبي بأن يتواجد في كل مشروع سياسي في الدول العربية بشكل خاص؛ فالعرب والفرس وحدهم هم طرف مؤكد في الأسباب التي أدت إلى إطالة عمر الصراع المذهبي حيث اختلطت عبر تاريخنا فكرة القوميات والمرجعيات الاجتماعية مع الفهم غير الدقيق للصيغة السياسية للدين والمدى الذي يجب أن تتواجد فيه الأديان في السياسة.

اليوم ومنذ الثورة الإيرانية قبل أكثر من ثلاثة عقود نشهد عودة جديدة اعتدنا عليها كمسلمين عبر دول تنتمي سياسيا إلى الصراع المذهبي فعبر التاريخ نحن نسمي المسارات السياسية للشعوب الإسلامية بأسماء مذهبية – دولة سنية ودولة شيعية– ولأن التاريخ هو أسرع المخلوقات الفكرية ظهورا عندما تستدعيه فإن ظهور دولة إيران كطرف شيعي أصبح ملزماً لدول أخرى أن تنعت ويرمز إليها بأنها دول سنية كعملية مناظرة سياسية بين السنة والشيعة وكما تعلمنا من التاريخ الخاص بنا بأنه يصبح من الضروري أن تدخل الدول المذهبية في صراع لا ينتهي ولكنه يعاد إنتاجه على شكل دول أو أحزاب يوظف من خلالها المال والأفكار لنشر مذهب ضد الآخر.

اليوم حيث يتساءل الكثير عن تلك الظاهرة التي حولت الثورة السورية من ثورة حقوقية يطالب الشعب فيها بحقه إلى ثورة تكسوها المذهبية حيث يكشف لنا الأفق السياسي لهذه الثورة يوما بعد يوم عن أننا وسط عملية إشعال فكري للدين وقوده المذهبية ليبقى السؤال التاريخي لمن الإسلام اليوم ولماذا...؟

الطائفية المذهبية تشتعل في سورية ولبنان والخليج وفي مصر بل في كل أنحاء العالم العربي، ولن تتوقف ومن يعتقد أنها سوف تتوقف يخطئ لأنها دورات تاريخية لم يسمح لها المسلمون بالإغلاق بل كانوا يفسحون لها المجال لتكبر وتزداد وهذا ما تحصده الأجيال اليوم حيث يضطر كل فرد في الأمة الإسلامية إلى إعلان انتمائه إلى مذهب بعينه لان المجتمعات الإسلامية فرضت هذا الانقسام.

لن تكون عبارات الوحدة والتعايش هي الحل الأمثل لتجاوز هذه الشجرة من الفرقة والتي يزيد عمرها على ألف وأربع مئة عام وإذا لم يقطع الماء عن هذه الشجرة وتزال بكل جذورها وأغصانها وأوراقها فلن نجد أنفسنا سوى متقاتلين تشعل الطائفية فينا أزمة الدين المنقسم..

صحيفة الرياض الاثنين 17 رجب 1434 هـ – 27 مايو 2013م – العدد 16408

الصراعات الطائفية والمذهبية.. نكبة الأمة.!!

علي ناجي الرعوي

كثيرة هي الأمراض التي اصيبت بها أمتنا الإسلامية عبر مسيرتها التاريخية.. وكثيرة هي المصائب والمحن والنكسات والنوازل التي تحيق بهذه الأمة في الوقت الراهن نتيجة ايغالها في جلد الذات واصرارها على إفساد حاضرها بشوائب وخطايا ماضيها الذي يفترض انه صار جزءاً من التاريخ.. وكبير هو الثمن الباهظ الذي تدفعه اليوم هذه الأمة التي اضاعت ايقونتها وتضاءلت لديها مساحة الرؤية الى درجة صارت فيها عاجزة عن فهم ما يحدث في داخلها وما يدور حولها وما يراد لها وبها.

وأخطر ما في هذه الحال انه الذي يدعو الى الرضوخ والاستسلام والقبول بذلك الواقع المعتل والمريض تحت مبرر ان معظم مشكلات العالم الاسلامي ليست وليدة الظرفية التاريخية الحالية وانما هي نتاج ماض سادته الاختلافات والصراعات والفتن ادت جميعها الى تشظي المجتمع الاسلامي الى طوائف وجماعات ومذاهب واحزاب وكيانات متناثرة لا حصر لها من شيعة وسنة واشاعر ومعتزلة وجهمية وصوفية واباضية واسماعيلية وزيدية وامامية وعلوية وقاديانية وبهرة واخوان وسلفية وهجرة وتبليغ وجهاد وقاعدة وغير ذلك من المسميات والمصطلحات التى يرى كل طرف فيها انه صاحب الحقيقة المطلقة.

وعلى وقع هذه الروحية المستسلمة لثقافة التقطيع والتمزيق والتشويه فقد اتسعت خلال العشر السنوات الماضية دائرة الخلافات والانقسامات بين تلك الطوائف والمذاهب والجماعات ولاحت في الافق مؤشرات الفتنة السنية – الشيعية التى تحدث عنها وزير الخارجية الامريكي الاسبق هنري كيسنجر عام 1974م وقام باذكاء نيرانها المحافظون الجدد عند احتلاهم للعراق كما انه بالتلازم مع هذه الإرهاصات فقد خرج الى العلن مصطلح (الانتماءات الطائفية) وبدأت عملية الاصطفافات الطائفية بالتشكل في عدد من البلدان العربية والإسلامية وهو الأمر الذي يضع هذه البلدان على قائمة التشرذم والتفتت ان لم يدفع بها الى السقوط في مهاوي العنف والاقتتال الداخلي.

وفي ضوء هذه الحقيقة التي تصرخ بصوت يسمعه حتى الأطرش علينا ان نعترف باننا في العالم الاسلامي ليس اكثر من ادوات تستخدم في تنفيذ مخططات الغير ان لم نكن في احسن الحالات مجرد شهود زور على اخطر مؤامرة تتعرض لها امتنا رغم معرفتنا وادراكنا بأن من سيهلك في (الفتنة الطائفية) التي نعمل على اشعال نارها من خلال الفضائيات الممولة من اموال المسلمين هم ابناء الاسلام وليس غيرهم.. ومن السذاجة وتضليل الذات قبل الآخر ان نرمي بالمسؤولية على الآخرين خاصة ونحن من نهيئ لهم الفرصة للوصول الى اهدافهم وبلوغ مراميهم بتعاملنا غير الرصين مع بعضنا البعض واندفاعنا الى اشعال معارك مصطنعة مخزية ومقرفة تتغذى من الفتاوى الدينية التي تطلق التكفير والتضليل ضد الآخر المذهبي بل وتنزع منه صفة الانتماء للدين والعقيدة الاسلامية.

ونسأل من المستفيد من تلك المعارك التي تخوضها عشرات الشاشات والمحطات والصحف بهدف تجذير عوامل الصراع والفتنة بين أبناء الأمة الاسلامية على اسس مذهبية متخلفة؟ ومن المستفيد من قيام تلك الوسائل بإعادة انتاج

واستحضار توترات الماضي وصراعاته بغية زيادة الحواجز والهواجس بين المسلمين السنة والمسلمين الشيعة وبما فاقم من الانقسامات الطائفية والمذهبية وشحن النفوس بالأحقاد التي تزيد من الانفصام النفسي وحمى التناحر في الواقع الإسلامي؟

وبالتالي فقد كنا نرى ولا نزال ان ثمة قواسم مشتركة مع إيران وان بالإمكان التفاهم على علاقة جوار ايجابية بين محاور الامة الثلاثة (العرب – ايران – تركيا) تخرج المنطقة من دائرة التجاذب والاستفزازات المذهبية التي تحاول ايران من خلالها تصدير نموذج الاسلام السياسي الخميني خاصة وان هذه الديكتاتورية المذهبية الفجة لن تؤدي سوى الى تمزيق وحدة المسلمين وتقطيع اوصالهم ودفعهم الى منزلق حروب طائفية لا نستطيع ان نخمن اين ستنتهي حرائقها وكوارثها المدمرة.

ونعتقد انه قد آن الاوان للاستجابة والتفاعل مع الدعوة التى اطلقها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز للحوار بين المذاهب الدينية باعتبار ان الحوار هو السبيل الوحيد لإخماد بوادر الفتنة التى تجد من ينفخ في كيرها عبر تأجيج الخلاف السني – الشيعي الذى قسم العالم الاسلامي الى معسكرين جاهزين للتصادم في أي لحظة وعلى أي سبب كان.. وبالحوار يمكن للعالم الإسلامي اعادة لحمته ورابطته القوية وحضوره الريادي في الخارطة الدولية وغير ذلك فان هذه الأمة ستصبح غثاء كغثاء السيل.

الرياض الاربعاء 20 صفر 1434 هـ – 2 يناير 2013م – العدد 16263